خيار الضريبة الأقل

Richard M. Bird and Pierre-Pascal Gendron

The VAT in Developing and Transitional Countries

Cambridge University Press, Cambridge, United Kingdom, and New York, 2007, 278 pp., $70 (cloth).

يقدم كتاب «ضريبة القيمة المضافة فى البلدان النامية والبلدان التى تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقال» بقلم رتشارد م.بيرد وبيير باسكال غندرن موجزا ممتعا فى قراءته وشاملا وحافلا بالأفكار عن القضايا الحاسمة المتصلة باعتماد ضريبة القيمة المضافة وتنفيذها فى البلدان النامية والبلدان التى تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقال.

والمؤلفان فى وضع جيد على وجه الخصوص يتيح لهما أن يقدما هذا التحليل. فبيرد، وهو واحد من أشهر علماء اقتصاديات المالية العامة فى كندا، وخبير لا يبارى فى أمور ضريبة القيمة المضافة، عمل لصالح كل من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ولصالح نفسه فى أكثر من ٥٠ بلدا. وعمل غندرن، وهو أيضا عالم فى اقتصاديات المالية العامة، فى الحكومة الكندية وقدم استشارات مستفيضة فى الأمور المالية والضريبية.

ويعطى الكتاب إحساسا بتباين وتعقد مسائل ضريبة القيمة المضافة الحالية والمشاكل العديدة التى تحيط بها. غير أن المؤلفين لا يزالان يعتقدان أن ضريبة القيمة المضافة أداة مالية مناسبة للبلدان النامية والبلدان التى تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقال. ويتساءل المؤلفان فى المستهل عما إن كان ينبغى أن يكون لدى البلدان النامية والبلدان التى تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقال ضريبة قيمة مضافة أصلا، ويجيبان عن السؤال بكلمة «نعم» بشكل حاسم.

ورغم أن بقية الكتاب لا ترتاد فيه مجالات جديدة كثيرة، فإنه يقدم دعما لهذه الأطروحة ورؤية متدرجة للكيفية التى يمكن بها للبلدان النامية أن تنفذ ضريبة القيمة المضافة على أحسن وجه. ويشير الكتاب إلى الندرة العامة فى التحليلات التجريبية بشأن العلاقة بين شتى سمات تصميم ضريبة القيمة المضافة وما تحقق على وجه الخصوص من نتائج فى التطبيق، ويثير عددا من الأسئلة الحاسمة من أجل إجراء المزيد من الدراسة عنها.

وتطرح استنتاجات الكتاب الرئيسية رؤية عملية منشطة للذاكرة عما هو ممكن عمليا، مقابل ما هو مثالى فى أمور سياسة الضريبة وإدارتها، مما يعكس، دونما شك، خبرة المؤلفين المستفيضة فى العمل فى ٢٥ بالمائة على الأقل من بلدان العالم وتقديم المشورة لها على مدى سنوات كثيرة.

اختيار أفضل

ويطرح المؤلفان، فى مجال إشادتهما بالزيادة العالمية فى ضريبة القيمة المضافة، نقطة مهمة فى الفصل الأول من الكتاب، أحيانا ما يتم إغفالها، بأنه يجب زيادة إيرادات الحكومات شيئا ما، وأن ضريبة القيمة المضافة ربما تكون، فى عالم يتسم بعدم الكمال، أقل الحلول اتصافا بعدم الكمال. ويشير المؤلفان إلى أنه فى مواجهة الحراك المتزايد لرؤوس الأموال فإن احتمالات الإيرادات التى توفرها للبلدان النامية والبلدان التى تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقال، ضريبة دخل الشركات وضريبة دخل الأفراد الشاملة محدودة جدا. ولذلك، فإن الاختيار الرئيسى الذى يمكن القيام به فى تصميم الضريبة هو الاختيار ما بين ضريبة الدخل وضريبة القيمة المضافة. ومن رأى المؤلفين أن ضريبة القيمة المضافة ملائمة أكثر من ضريبة كسب العمل فى الحصول على أموال من الاقتصاد غير الرسمى.

ويمضى المؤلفان، بعد هذا الإعراب عن الثقة فى ضريبة القيمة المضافة، إلى مناقشة موضوعين آخرين يقوم عليهما التصميم الملائم للضريبة بالنسبة إلى البلدان النامية والبلدان التى تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقال. أولا، من الخطأ، فى تصميم الضريبة، بمثلما هو فى الحياة، خلق تضاد بين ما هو أفضل وما هو جيد – إن محاولات حل جميع مشاكل ضريبة القيمة المضافة بواسطة تعقيدات قانونية وسياسية وإدارية متزايدة باستمرار مكتوب عليها الفشل. وثانيا – وهذه النقطة متصلة بالموضوع الأول – يحث المؤلفان البلدان النامية على عدم محاولة الذهاب إلى حيث لم يفلح أى بلد آخر من قبل.

ويحاجان بأن من الأفضل بكثير بالنسبة للبلدان منخفضة القدرات الإدارية أن تركز على إرساء الأساسيات بالشكل الصحيح وأن تترك تنفيذ أحدث صيحة من المخططات – لمكافحة التدليس المراوغ من النوع المنتشر فى الاتحاد الأوروبى، ومعالجة المبيعات الرقمية، وفرض الضرائب على الخدمات المالية – إلى البلدان التى تستطيع تحمل تكلفة تجريبها على نحو أفضل من غيرها (من الناحيتين المالية والإدارية على حد سواء). وبحسب ما يشيران إليه عن صواب، ففى البلدان النامية «تهيمن القدرة الإدارية والضرورات السياسية على واقع الضرائب».

ويتمسك المؤلفان بصفة عامة، فيما يتعلق بسمات التصميم الخاصة بضريبة القيمة المضافة بالنسبة إلى البلدان النامية، بالأعراف المصطلح عليها (والتى تختلف فى بعض الحالات عن تلك التى كانت سائدة قبل ٢٠ عاما، كما يقولان). ويشمل ذلك، مثلا، اعتماد عتبة مرتفعة لتسجيل ضريبة القيمة المضافة، ومن ثم يتم الحد من عدد دافعى الضرائب، وتقليل الإعفاءات لأدنى حد، وتجنب الأسعار المتعددة، واستخدام منهجيات تدقيق ملائمة بدلا من نظم المضاهات الحاسوبية المتقنة، وتجنب إسقاط الضرائب.

ويعالج الفصل الثامن – وهو من بين أكثر أقسام الكتاب إثارة للاهتمام – ذلك الاهتمام المتزايد بضرائب القيمة المضافة واستخدامها على النطاق دون الوطنى. ويقدم المؤلفان نظرة عامة وتحليلا بارعين فى الإيجاز للأحوال الراهنة فى التطبيق والنظرية، وينتهيان بملاحظات تحذيرية واقعية وملائمة «يتبقى أن نرى ما إن كانت (ضرائب القيمة المضافة دون الوطنية) تستطيع أن تعمل بشكل مرض فى بلدان مثل الهند، التى تملك ولاياتها بعض الاستقلال الذاتى المالى الحقيقى ولكن تواجه كلا من الحكومة المركزية وحكومات الولايات فيها معوقات إدارية حادة».

إن كتاب «ضريبة القيمة المضافة فى البلدان النامية والبلدان التى تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقال» يعتبر إضافة قيمة لمكتبة أى شخص مهتم بتصميم الضرائب، أو الإدارة العامة، أو التنمية بصفة عامة.

فكتوريا بيرى
رئيسة شعبة
دائرة الشؤون المالية فى صندوق النقد الدولى

أرشانا كومار محرر استعراض الكتب.

المذهب العقلانى يفسر «الطبيعى»

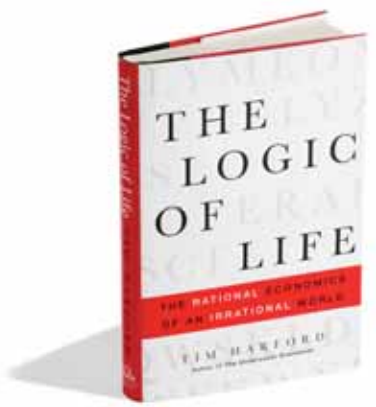

Tim Harford

The Logic of Life

The Rational Economics of an Irrational World

Random House, New York, 2008, 272 pp., $25 (cloth).

عزيزى الاقتصادى، أشعر بالحيرة قد غمرتنى من جراء ذلك الفيض الكبير فى الوقت الراهن من الكتب عن «الاقتصاديات الجديدة لأى شيء». وحيث إننى قرأت كتاب تيم هارفورد السابق، «رجل الاقتصاد السري»، علاوة على «نقطة الإزاحة، والوميض، وحكمة الجموع، وبالطبع، اقتصاديات النزوة، فهل يُنصح لى أن أقرأ «منطق الحياة: الاقتصادات الرشيدة لعالم غير رشيد» أم يجب أن ألتزم بكتبى الدراسية فى مجال الاقتصاد؟ وفى هذا الصدد، كيف لكم أن تفسروا السبب فى تأليف مثل هذا العدد الكبير من هذا النوع من الكتب؟

توقيع: ضائع فى عالم اقتصادات الفرقعة»

«عزيزى الضائع فى عالم الاقتصادات الهشة

نعم، كتاب منطق الحياة يستحق القراءة»

أولا، فى أى كتاب آخر يمكن افتراض اختيار رشيد من أجل مثل هذه الجولة المنطلقة وسط أمور الزواج والطلاق، والسمنة، والقمار، والإدمان، ورئيسك فى العمل– نعم، كل الأمور التى لها أهمية حقيقية فى الحياة؟ وما هى البحوث الاقتصادية الحديثة العهد الأخرى التى توفر تفسيرا مبهجا بشأن، من جملة أمور، ديناميات تحولات سكان الحضر، ونشأة الثورة الصناعية، والكيفية التى قد يكون أسلافنا من البشر قد دفعوا بها بأنسان نياندرتال إلى الفناء؟

وثانيا، أين يمكن لك فى غير هذا أن تجد تفسيرات رشيدة للسبب فى أن الرؤساء التنفيذيين للشركات يحصلون على أجور باهظة (تلميح:لا يرجع ذلك إلى أنهم يستحقونها)، أولماذا تندب كارى برادشو بطلة مسلسل «الجنس والمدينة» الافتقار إلى الرجال فى مانهاتن ورغم ذلك لا تنتقل إلى أنكوراج فى ألاسكا مثلا. فإذا ما كان تفسير هارفورد بأنه «يبدو أن الكثير من النساء قررن أنه من الأفضل لهن أن يتنافسن على الرجال الأثرياء النادرين بدلا من الانتقال إلى حيث يعيش الرجال الفقراء وإن كانوا وفيرين» يبدو غير صائب جدا من الناحية السياسية، فحاول التفكير فى بيولوجيا الارتقاء، والتى يمكن وفقا لها أن يحمى الرجال الأقوياء الأسرة بشكل أفضل وتستطيع النساء الشابات أن يلدن ذرية أكثر.

وثالثا، أين يمكن لك فى غير هذا أن تتعرف على مثل هذا الفريق من الشخصيات المرموقة الذين يؤكدون أن الحقيقة يمكن أن تكون أغرب من الخيال، من كريس «جيسوس» فيرغوسون، مدمن الحاسوب الذى تحول إلى بطل لعبة البوكر والذى فاز فى سلسلة مباريات البوكر العالمية فى الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤ بأكثر من أى منافس له فى عقد واحد مطبقا نموذج جون فون نيومان فى البوكر (تحذير: لا تحاول ذلك فى لاس فيجاس)، إلى توماس شيلينغ الفائز بجائزة نوبل الذى استخدم نظرية المباراة لإنقاذ العالم من الحرب النووية وأقلع عن التدخين (وكان الانجاز الأخير أصعب بكثير من الإنجاز الأول كما يمكن لأى مدخن أن يقوله لك).

ومن ثم، فها هو تيم هارفورد، بعد كتاب «رجل الاقتصاد السري»، يتصدى لهذا الأمر مرة ثانية ويأخذنا فى جولة من البحوث الحديثة من «جيل جديد من رجال الاقتصاد» لكى يؤكد فرضية بسيطة: أننا نستجيب للحوافز. ومن الواضح أن هارفود متأثر بجارى بيكر وشيلنغ، اللذين يطبقان منظورات الاختيار الرشيد على أكثر مجالات الحياة استبعادا. أضف إلى ذلك باقة من المفكرين الجدد المثيرين للاهتمام (دارون أسيموغلو، وإد غلايسر، ولينا إيدلوند، وميشيل كريمر، ومارك غرانوفيتر، وجوستين ولفيرز، وكثيرون غيرهم)، فتحصل على مجموعة مذهلة من الحكايات المرتبطة ببعضها بافتراض رئيسى واحد: فالكثير من أمور الحياة، والرومانسية والإدمان والحضرنة، بل والفصل العنصرى، يمكن تفسيره بواسطة فرضية مفادها أن الناس عقلانيون.

ولكنك قد تتساءل عما إن كانت الحوافز العقلانية هى كل القصة؟ أو ليس السلوك غير العقلانى أيضا قواما من مقومات الطبيعة البشرية؟ وحسبما يخلص إليه كتاب دان أريبلى: «غير عقلانى فيما يتصور: القوى الخفية التى تشكل قراراتنا» من أعمال حديثة العهد فى الاقتصادات السلوكية، فإننا قد لا نحسب دائما بشكل عقلانى قيمة مختلف الخيارات التى نواجهها. فكر، مثلا، فى الناس الأمناء وهم يسرقون كعك الدونات فى الاحتفالات واللوازم المكتبية، ولكنهم لا يسرقون نقودا، أو فى المرضى الذين يحققون نتائج باستخدام الأدوية الغالية الثمن أفضل مما يحققونه بالأنواع السائبة الرخيصة. وبمعنى آخر، ألا يمكننا أن نضع «علم الحوافز»– نموذج السوق يعرف أفضل الذى وضعه هارفورد– فى مقابل «علم العواطف»، حيث يمكن أن يتأثر السلوك الاقتصادى بقوى غير مفهومة، مثل العواطف، والنزوات، والأعراف الاجتماعية؟

فى هذه النقطة يصيب «منطق الحياة» كبد الحقيقة: قد نحيد فى بعض الأحيان عن الاختيار العقلانى، غير أن اقتراض عقلانية البشر المعيارى يحتفظ بنطاق مدهش للتفسير. فما قد يبدو غير قابل للتفسير للوهلة الأولى يصبح له معنى ما إن تسبر القوى الخفية ذات التأثير وكيفية استجابتنا لها. ويصدق ذلك بالنسبة لأهالى نيويورك ولندن الذين يدفعون الكثير للإقامة فى مدن تكلفهم ما يزيد كثيرا عن علاوة أجورهم الأصلية، بل وبالنسبة لحاملى أسهم ديزنى الذين وجدوا أن من الرشد أن يدفعوا لميشيل إيزنر راتبا يبلغ ٨٠٠ مليون دولار على مدى فترة شغله وظيفته التى تبلغ ١٣ سنة، حتى ولو كان قد أمضى وقته فى مشاهدة «توم وجيري».

وأما فيما يتعلق بسؤالك الأخير، فإنك على حق فى ملاحظة تكاثر أفضل الكتب مبيعا التى تفسر كل شيء من خلال عدسات الاقتصاد. وهذا يؤكد – إن كان ثمة حاجة لذلك – أن النجاح يجلب المقلدين وأن علماء الاقتصاد هم أول من يستجيب عقلانيا للحوافز. ومن حسن الحظ أن تناول «منطق الحياة» ينبغى ألا يكون عمل الذهن الخالى: إذا ما كنت مهتما بالكيفية التى تتلاءم بها الطبيعة البشرية و«العلم المسبب للكآبة» معا، فإن قراءة الكتاب هى المسار العقلانى للعمل.

جيليس بوش
مستشار
دائرة العلاقات الخارجية فى صندوق النقد الدولي